coptic-books.blogspot.com

حرِّيَّةُ نِسيان الذَّات

الطَّريق إلى الفرح الحقيقيّ

تيموثي كَلِر

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

حرِّيَّةُ نِسيان الذَّات

الطَّريق إلى الفرح الحقيقيّ

تيموثي كَلِر

ترجمة: رمزي عبَّاد

ophir

coptic-books.blogspot.com

The Freedom of Self Forgetfulness.
Copyright © Timothy Keller, 2012.
All Rights reserved.

Originally published in English by 10Publishing, a division of 10ofThose Limited. 9D Centurion Court, Farington, Leyland, PR25 3UQ, England.

Arabic Edition Copyright © 2014 by Ophir Printers & Publishers.
All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means – electronic, mechanical, photocopy, recording or any other – except for brief quotations in printed reviews, without prior permission of the publisher.

حرّيّة نسيان الذات
الطبعة العربية الأولى ٢٠١٤م
حقوق الطبع محفوظة

أوفير للطباعة والنشر
ص.ب. ٣٠٦٢، عمان ١١١٨١، الأردن
هاتف: ٧٦٨ ٥٦٦٥ ٦ ٩٦٢+ ، فاكس: ٧٦٨ ٥٦٣٩ ٦ ٩٦٢+
Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ٢٠١٤/٦/٢٨٤٥
ISBN 978-90-5950-208-6

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

coptic-books.blogspot.com

المحتويات

المقدِّمة ٧

الفصل الأوّل:
الحالةُ الاعتياديَّة للأنا البشريَّة ١٥

الفصل الثاني:
النظرةُ المختلفة إلى الذَّات ٢٧

الفصل الثالث:
كيفيَّةُ الحصول على تلك النظرة المختلفة ٤١

أفكارٌ وأسئلةٌ للتأمُّل ٤٩

coptic-books.blogspot.com

coptic-books.blogspot.com

المقدِّمة

ما المؤشِّراتُ الدالَّةُ على اختبارِ القلبِ تغييرًا جذريًّا بنعمةِ الله؟ بمعنًى آخر، إذا قَبِلنا يسوعَ المسيحَ ربًّا ومُخلِّصًا، كيف ينبغي لقُلوبنا أن تكون؟ إنَّ الأمرَ لا يَقتصرُ على السُّلوكيَّات الأخلاقيَّة. فقد نمارسُ كلَّ الأعمال الأخلاقيَّة، ونسلُكُ في الفضيلة في وقتٍ تمتلئ فيه قلوبُنا بالخوف، أو الكبرياء، أو الرَّغبة في أن نكونَ من أصحاب النُّفوذ. ولكنَّنا نتحدَّث هنا بشأن القلوب التي اختبرَتْ تغييرًا جذريًّا عميقًا بِفَضْل نِعمة الله، وبشأن انعكاس هذا التَّغيير على الحياة اليوميَّة.

سنُركِّزُ حديثَنا على مقطعٍ من رسالة بولس الرَّسول الأولى إلى أهل كورنثوس، ولا سيَّما على الأعداد ١كورنثوس ٣: ٢١-٤: ٧.

coptic-books.blogspot.com

"إذًا لا يفتخرنَّ أحَدٌ بالنَّاس! فإنَّ كلَّ شيءٍ لكُم: أَبولُسُ، أم أبُلُّوسُ، أم صفا، أم العالمُ، أم الحياةُ، أم الموتُ، أم الأشياءُ الحاضرةُ، أم المستقبَلةُ. كلُّ شيءٍ لكُم. وأمَّا أنتُم فللمسيح، والمسيحُ لله. هكذا فليَحْسِبْنا الإنسانُ كخُدَّام المسيح، ووُكلاء سرائر الله، ثُمَّ يُسألُ في الوُكلاء لكي يُوجَدَ الإنسانُ أمينًا. وأمَّا أنا فأقلُّ شيءٍ عندي أن يُحكَم فيَّ منكُم، أو من يَوم بشرٍ. بل لستُ أحكُمُ في نفسي أيضًا. فإنِّي لستُ أشعُرُ بشيءٍ في ذاتي. لكنَّني لستُ بذلك مُبرَّرًا. ولكنَّ الذي يحكُمُ فيَّ هو الرَّبّ. إذًا لا تحكُمُوا في شيءٍ قبل الوقت، حتَّى يأتيَ الربُّ الذي سيُنيرُ خفايا الظَّلام ويُظهِرُ آراءَ القُلُوب. وحينئذٍ يكُونُ المدحُ لكُلِّ واحدٍ من الله. فهذا أيُّها الإخوةُ حوَّلتُه تشبيهًا إلى نفسي وإلى أبلُّوس من أجلكُم، لكي تتعلَّموا فينا: «أن لا تفتكرُوا فوق ما هُو مكتوبٌ»، كي لا ينتفخَ أحَدٌ لأجل الواحد

coptic-books.blogspot.com

على الآخر. لأنَّه مَن يُميِّزُك؟ وأيُّ شيءٍ لكَ لم تأخُذه؟ وإنْ كُنتَ قد أخذْتَ، فلماذا تفتخرُ كأنَّك لم تأخُذ؟''.

كانت هناك انقسامات كثيرةٌ في كنيسةِ كورِنثوس. وكان بولس الرَّسول هو الذي زَرَعَ تلك الكنيسة في الأصل. ولكنْ كما نَرى من خلال الإشارة إلى أبُلُّوس وصَفا (أيْ بُطرُس)، فإنَّ مُبَشِّرين آخرين جاءوا إلى كورنثوس لاحقًا. ونتيجةً لذلك، انجذبَتْ كلُّ مجموعةٍ من المؤمنين إلى أحَدِ خُدَّام الربِّ البارزين. فقد تَعلَّم أحَدُهم وتتلمَذَ على يَدِ بولس، وتَعَلَّمَ آخرُ وانتُخِبَ قائدًا من خلال أبلُّوس (الذي كان مُعَلِّمًا عظيمًا أيضًا)، وهكذا دواليك. وعِوَضَ أن يكونَ الجميعُ فَرِحين لارتباطهم ببولس أو أبلُّوس، صارتْ هذه العلاقات سببًا رئيسيًّا للنِّزاع على السُّلطة والنُّفوذ. ونشأتْ أحزابٌ وظهرَتِ انقساماتٌ هَدَّدتْ بتَمزيق الكنيسة. فقد كان أحَدُ الأشخاص يقولُ إنَّه أهلٌ لتَسلُّم القيادة؛ لأنَّه تتلمذَ على يَدِ بولس- أو بالأحرى القدِّيس بولس. وادَّعى شخصٌ آخرُ الشَّيءَ نفسه بسبب علاقته

coptic-books.blogspot.com

المتينة بأحَدِ خُدَّام الربِّ البارزين الآخرين. وهَلُمَّ جَرًّا.

وفي هذا المقطع الكتابيّ، يُبيِّن بولسُ أنَّ العِلَّة الأساسيَّة لتلك الانقسامات هي الكبرياء والافتخار. لذا فإنَّنا نواجِهُ المتاعبَ في التَّعايش معًا. وهذا هو أيضًا السَّببُ في انعدام السَّلام في العالم، والسَّبب في عدم قدرتِنا على العَيش في وئامٍ بعضنا مع بعض. ولكنْ تأمَّلْ في ما يقولُه بولس الرَّسول. فهو يبتدئ الحديثَ في العدد ٢١ بالقول: "لا يَفْتَخرَنَّ أَحَدٌ". ويقول في العدد ٧ من أصحاح ٤: "فلماذا تَفتخِرُ...؟". ولاحِظْ أيضًا ما يقولُه في العدد ٦ تحديدًا إذ إنَّه يَحضُّ المؤمنين في كورنثوس قائلًا: "لا يَنْتفخ أَحَدٌ لأَجل الوَاحدِ على الآخَر".

يقول بولس: "لا للكبرياء! ولا للافتخار!" وهذا يعني أنَّه ينبغي لنا أن نَتَحلَّى بالتَّواضُع. وهذا يقودُنا إلى موضوعنا المشوِّق عن تقدير الذَّات.

حتَّى مُستهَلِّ القرن العشرين، كانت الثقافاتُ التَّقليديَّة (وهذا ينطَبق أيضًا على أغلبيَّة الثَّقافات في العالم) تؤمنُ دائمًا بأنَّ النظرةَ المُتشامخة إلى الذَّات هي أصلُ كلِّ الشُّرور

coptic-books.blogspot.com

في العالم. فما السَّبب في أغلبيَّة الجرائم والعُنف في العالم؟ وما السَّبب في إساءة مُعامَلةِ الآخرين؟ وما السَّبب في قَسوَةِ البشر؟ ولماذا يقترفُ البشرُ كلَّ هذه الشُّرور؟ إنَّ الإجابةَ التَّقليديَّة عن هذا السُّؤال هي: "**هيبرِس**" *(Hubris)*- وهي كلمةٌ يونانيَّةٌ تعني "الكبرياء" أو "التَّشامُخ". ومن وجهة النَّظر التقليديَّة فإنَّ التَّشامُخ هو سببُ سوءِ سُلوكِ البَشَر.

ولكن تَبنَّت الثقافة الغربيَّة المعاصِرة، ثقافةً مُغايرةً تمامًا. فالأساسُ المعتمَد في الأساليب التربويَّة الحديثة، وفي مُعاملة المسجونين، وفي أغلبيَّة التَّشريعات المعاصِرة، وفي تقديم المشورة في وقتنا الحاضر هو أساسٌ مُناقِضٌ تمامًا للأساس التقليديّ. فنحن نظُنُّ اليومَ (في كلِّ مُعتركٍ من مُعتركات الحياة) أنَّ الناسَ يُسيئون السُّلوكَ بسبب عدم تَقديرِهم ذواتهم وبسبب نظرتهم الدونيَّة إلى أنفسهم. فمثلًا، السَّببُ الذي يَدفعُ الأزواجَ إلى ضَرْبِ زَوجاتِهم؛ والسَّبب الذي يَدفعُ الناسَ إلى اقترافِ الجرائم هو أنَّهم يَنظرون إلى أنفسهم نظرةً دونيَّة. إذًا، كان الاعتقادُ السَّائدُ هو أنَّ تلك السلوكيَّات ناشئةٌ عن تَشامُخ الإنسان وكبريائه. ولكنَّنا نقولُ الآن إنَّ السببَ في ذلك هو نظرةُ الإنسانِ الدونيَّة إلى نفسه.

coptic-books.blogspot.com

قبل سنوات، نَشَرَت مجلّة نيويورك تايمز (New York Times) مقالةً للاختصاصيّة النّفسانيّة لورين سليتر (Lauren Slater) بعنوان: "مشكلة تقدير الذّات" (The Trouble with Self-Esteem). والحقيقةُ هي أنَّ هذه المقالةَ لم تكُنْ مقالةً خارجةً عن المألوف. فقد ابتدأتْها عالمةُ النّفس بالحديث بما كان الخبراءُ يعرفونه منذ سنواتٍ طويلة. ولكنَّ الأمرَ المدهشَ هو قولُها إنَّه ليس هناك دليلٌ على أنَّ عدمَ تقدير الذّات هو مشكلةٌ كبرى في المجتمع. وقد اقتبسَتْ ثلاثَ دراساتٍ حديثة عن مَوضوع تقدير الذّات. وهي تقولُ إنَّ هذه الدِّراساتِ الثّلاث تقولُ الأمرَ نفسَه: "إنَّ الأشخاصَ الذين ينظرون إلى أنفسهم نظرةً مُتشامخة يُشكِّلون خَطَرًا أكبر على الناس المحيطين بهم من الأشخاص الذين لا يُقدِّرون أنفسَهم. فالأشخاصُ الذين ينظرون إلى أنفُسِهم نظرة دونيّة ليسوا هم مصدرَ المشكلاتِ الاجتماعيّة الأخطرَ والأكثرَ تكلفةً في بلدنا".[1]

قد نجدُ بعضَ المتعة في شَرْح كيفيَّة حُدوثِ ذلك،

1) Lauren Slater, *The Trouble with Self-Esteem*, The New York Times Magazine, Feb 03, 2002.

coptic-books.blogspot.com

وسبب حدوثه، وهلمَّ جرًّا. غير أنَّ ما يَهُمُّنا الآن هو القَولُ إنَّها كانت مُحقَّة في قولها إنَّ قبولَ هذه الحقيقة قد يستغرق سنواتٍ طويلة. فنحن مقتَنِعون جدًّا أنَّ عدمَ تقدير الذَّات هو السببُ في تَفَشِّي الإدمان على المخدِّرات، والجرائم، وضَرْب الزَّوجات، وما إلى ذلك. وتقول الاختصاصيَّة النفسانيَّة سليتر إنَّ تغييرَ هذه القَناعةِ قد يتطلَّبُ الدَّهرَ كلَّه.

إنَّ ما يَميِّز "نظريَّة سوء السُّلوك النَّاجم عن عدم تقدير الذَّات" هو أنَّها نظريَّة جذَّابة جدًّا. فهي لا تُلزِمك بإصدار أيَّة أحكام أخلاقيَّة للتَّعامل مع المشكلات في المجتمع. فكلُّ ما ينبغي لكَ فعلُه هو تشجيعُ الأشخاص ورَفْع معنويَّاتهم. ولكنَّ طريقةَ معالجةِ هذه المشكلات في الثَّقافات التقليديَّة، كانت تَقتَضي منكَ مواجهةَ هؤلاء الأشخاص بحزمٍ، وتبكيتَهم، ونَعتَهم بسوء الأدب وانعدام الأخلاق!

إنَّ النُّقطةَ المثيرةَ للاهتمام في هذه الآيات من الرِّسالة الأولى إلى أهل كورنثوس هي أنَّها تُقدِّم إلينا نَهْجًا لاحترام الذَّات. وهذا النَّهجُ يساعدُنا على رؤية أنفسنا بطريقةٍ مختلفةٍ عن كلٍّ من الثَّقافة التقليديَّة والثَّقافة الحديثة/

coptic-books.blogspot.com

المعاصرة. فهي تُقَدِّمُ نَهْجًا مختلفًا جذريًّا!

وهناك أمورٌ ثلاثة يُبيِّنُها لنا الرَّسولُ بولسُ هنا، وهي:

١. **الحالةُ الاعتياديَّة للأنا البشريَّة.**

٢. **النظرةُ المختلفة إلى الذَّات** (وهو أمرٌ اكتشفَه بولس، ويمكنُ تحقيقُه من خلال الإنجيل).

٣. **كيفيَّة الحصول على تلك النظرة المختَلِفة.**

coptic-books.blogspot.com

الحالةُ الاعتياديَّة للأنا البشريَّة

يُناشدُ بولسُ الرسولُ الكورنثيِّين في الآية السادسة أن "لا يَنْتَفخ أَحَدٌ لأَجلِ الواحدِ على الآخَر". وقد يقول أَحَدُهم إنَّه لم يأتِ بشيءٍ جديد؛ فنحن نَعلم أنَّ الكبرياءَ لا تَليق. ولكنْ يجب علينا أن نُدركَ أنَّ الكلمةَ التي يستخدمُها بولسُ هنا لوَصْفِ الكبرياء هي ليسَتِ الكلمةَ المستخدمة عادةً هيبرِس، بل الكلمة "فيزيو" (Physioo). وهي كلمةٌ لا تُستخدَم عادةً. ولكنَّ بولسَ يستخدمُها في هذه الآية وفي خمسةِ مواضعَ أُخرى من هذه الرسالة، كما يستخدمُها مرَّةً أيضًا في الأصحاح الثاني من رسالتِه إلى أهل كولوسِّي.

coptic-books.blogspot.com

ولكنَّنا لا نجدُها في أيِّ مكانٍ آخرَ في الكتاب المقدَّس؛ لأنَّ بولسَ هو الوحيدُ الذي استخدمَها. وهذا هو ما حَدا بمُفَسِّرين عديدين إلى القول إنَّ هذا المفهومَ يَختصُّ ببولس.

ويحاولُ بولسُ، باستخدامه هذه الكلمة، أن يُعَلِّم مؤمني كورنثوس درسًا مُهمًّا عن الأنا البشريَّة. فهو يَستخدم الكلمة "يَنتفخ" للإشارة إلى الكبرياء التي تجعلُ المرءَ يَرى نفسَه بمنظارٍ أكبرَ من الحجم الطبيعيّ. وهي كلمةٌ ذات صِلَة بالكلمة "مِنفاخ"، كما أنَّها مثيرةٌ للمشاعر لأنَّها تُذكِّرنا بالصُّورة المؤلمة لعُضوٍ الجسم المتضخِّم بسبب امتلائه بالهواء. فعندما يَنتفخُ شيءٌ أكثرُ مِن اللَّازم، يصيرُ قابلًا للانفجار. فهو مُتضخِّمٌ، ومُنتفخٌ، ومُتمدِّدٌ أكثر من حجمه الطبيعيّ. ووَفقًا للرَّسول بولس، فإنَّ هذه هي الحالة الإعتياديَّة للأنا البشريَّة.

ولأنَّ هذا التَّشبيه يُقَرِّب الصُّورة إلى أذهاننا، أرى أنَّه يَلزمُنا أن نتأمَّلَ في هذه الصُّورة عَسى أن نُدركَ قَصْدَ الرَّسول بولس. ومن وجهة نَظري، أرى أنَّ الصُّورة توحي بأربعةِ أمور عن الحالة الاعتياديَّة للأنا البشريَّة: أنَّها فارغة، ومؤلمة، ومشغولة، وهَشَّة.

coptic-books.blogspot.com

أوَّلًا، هي فارغة. فالصُّورة تُشير إلى حقيقةِ وُجودِ فراغٍ في مركَز الأنا البشريَّة. فالأنا المُتضخِّمة والمُنتفخة لا شيء فيها، بل هي فارغةٌ وجَوفاء.

يقول سورين كيركيغارد (Soren Kierkegaard) في كتابٍ له بعنوان "**المرض المؤدِّي إلى الموت**" (*Sickness Unto Death*) إنَّ الحالةَ الاعتياديَّة للقَلبِ البشريِّ هي أن يحاولَ بناءَ هُويَّته حولَ شيءٍ آخرَ إلى جانب الله.[٢] والكبرياءُ الروحيَّة هي التوهُّم أنَّنا قادرون على إدارة حياتنا بأنفسنا، على تحقيق شعورنا بقيمتنا الشخصيَّة بأنفسنا، على العثور على هدفٍ كبيرٍ يجعلُ حياتَنا ذاتَ مغزى بمَعْزِلٍ عن الله. ويقول كيركيغارد إنَّ الأنا الطبيعيَّة عند الإنسان قائمةٌ على شيءٍ غير الله. فهي تبحثُ عن شيءٍ يُعطيها شعورًا بأنَّها مميَّزةٌ وذاتُ قيمة، وبأنَّ لها هدفًا. وهي تَعتمدُ على ذلك في بناءِ نفسها. ولكنْ يجب علينا أن نتذكَّرَ دائمًا أنَّنا إذا حاوَلْنا وَضْعَ أيِّ شيءٍ في ذلك المكان المَخصَّص لله في قلوبنا وحياتنا، فإنَّ هذا الشَّيء لن

2) Soren Kierkegaard, *Sickness Unto Death*, New York: Penguin, 1989.

coptic-books.blogspot.com

يملأَ ذلك المكان. لذا فإنَّ الصِّفة الأولى للأنا البشريَّة هي أنَّها فارغة.

ثانيًا، الأنا البشريَّة مؤلمة. أجل، الأنا المُتَضَخِّمة والمُنتفخة مؤلمة.

هل فَكَّرتَ يومًا في حقيقة أنَّك لا تُفَكِّر في جسدك إلَّا إذا كان يُعاني علَّةً ما؟ فعندما تكونُ الأمورُ على ما يُرام، فإنَّنا لا نُفَكِّر في رَوعةِ أصابع قَدَمَينا، ولا في أهمِّيَّة مِرْفَقَينا. فنحن لا نُفَكِّر في أجسادنا إلَّا إذا كانت فيها علَّة ما. فأعضاءُ جسدنا لا تلفتُ أنظارَنا إليها إلَّا عندما تمرض أو تتأذَّى.

ولا شكَّ أنَّ الأنا تؤلمُ في أغلب الأحيان. والسَّبب في ذلك هو أنَّها تُعاني خَطْبًا ما. فهناك عِلَّة كبيرةٌ فيها. لذا فإنَّها تجذبُ الأنظار إليها- كلَّ يوم! وهي تجعلُنا نُفكِّر دائمًا في شكلنا الخارجيِّ وطريقة معامَلةِ الآخرين لنا. وهذا هو ما يَجعلُ الناسَ يقولون أحيانًا إنَّ مشاعرَهم تعرَّضَتْ للأذى. ولكنَّ مشاعرَنا لا تتأذَّى في الحقيقة! بل إنَّ الأنا هي التي تتأذَّى- أي شعوري بذاتي وهُوِيَّتي. بعبارةٍ أُخرى، فإنَّ مشاعرَنا سليمةٌ ومُعافاة، ولكنَّ الأنا هي التي تؤلمنا!

coptic-books.blogspot.com

إنَّ السَّير لا يؤلم أصابعَ القدمَين ما لم تكنْ هناك علَّة ما فيها. كذلك الأمر بالنسبة إلى الأنا؛ فهي لا تؤلمنا إلَّا إذا كانت تُعاني خَطْبًا ما. فَكِّر في ذلك. من الصَّعب جدًّا أن تصرفَ اليومَ كلَّه دونَ أن تشعرَ بأنَّ أَحَدَهُم قد أهملكَ أو تجاهلَكَ، أو دون أن تشعرَ بالحماقة أو بخيبة الأمل من نفسك. والسَّبب في ذلك هو أنَّ الأنا لدينا تُعاني مشكلةً ما. فهناك مشكلةٌ في هُويَّتنا، ومشكلةٌ في مشاعرِنا تُجاه أنفُسِنا. فالأنا لدينا ليسَتْ فَرِحَةَ البَتَّة. وهي تحاولُ دائمًا أن تجذبَ أنظارَنا إليها.

إذًا، ذكَرْنا حتَّى الآن صِفَتَين للأنا: الأولى هي أنَّها فارغة، والثَّانية أنَّها مؤلمة؛ لأنَّها تُشبِهُ البطنَ المنتفخ. والآن، نأتي إلى الصِّفة الثَّالثة للأنا وهي أنَّها مشغولةٌ جدًّا. بمعنًى آخر، فإنَّها مُنهمكةٌ دائمًا في جَذْبِ الأنظار إليها. وهي مشغولةٌ جدًّا في محاوَلةِ مَلْء ذلك الفراغ. وهي مشغولةٌ جدًّا بأمرَين على وجه التَّحديد: المقارَنة والانتفاخ. ويمكنُكَ أن ترى هذين الأمرَين في الآيات المذكورة أعلاه. وقبل كلِّ شيء، لاحظْ أنَّه لا توجد "نُقطة" بعد الكلمة "يَنتَفخ" في الآية السَّادسة. فالرَّسول بولس لا يقول: "كَي لا يَنتَفخَ أَحَدٌ". بل يقول: "كَي لا يَنتَفخَ أَحدٌ لأَجلِ الواحدِ على

coptic-books.blogspot.com

الآخَر". وهذا هو المقصودُ بِوُجود الأنا الطَّبيعيَّة عند البشر. فهي تحاولُ أن تملأَ فراغَها بنفسها، وأن تُعالجَ انزعاجَها بمقارنةِ نفسِها بالآخرين. وهي تفعلُ ذلك كلَّ الوقت.

ويُشير سي. أس. لِويس (C. S. Lewis) في الفصل المشهور الذي يتحدَّث فيه بشأن الكبرياء في كتابه "**المسيحيَّة المجرَّدة**" *(Mere Christianity)* إلى أنَّ الكبرياءَ تُحبُّ المنافَسةَ بطبيعتها. فالمنافَسةُ هي القلبُ النَّابضُ للكِبرياء.

> **"الكبرياء لا تنالُ لذَّةً من حصولها على شيء، بل فقط من حصول المرء على مقدارٍ منها يفوقُ ما لدى الإنسان الآخر. ونحن نقول إنَّ الناسَ متكبِّرون لكَونهم أغنياء، أو أذكياء، أو وُسَماء، غير أنَّهم ليسوا كذلك. إنَّهم متكبِّرون لكَونهم أغنى من الآخرين أو أذكى أو أجمل منظرًا. فلو صارَ الجميعُ أغنياء أو أذكياء أو وُسَماء، لما كان من داعٍ إلى الكبرياء".** [٣]

٣) سي. أس. لِويس، المسيحيَّة المجرَّدة، أوفير للطباعة والنشر- عمَّان، الطبعة الثانية- ص. ١٧٨-١٧٩.

coptic-books.blogspot.com

بعبارة أخرى، فإنَّنا نفتخر فقط بكَوننا أنجح، أو أذكى، أو أجمل أو أوسم من الآخرين. وعندما نكون برفقة شخصٍ يفوقُنا نجاحًا أو ذكاءً أو وسامةً، فإنَّنا نفقدُ متعتنا في ما لدينا. والسَّبب في ذلك هو أنَّنا لم نَكُن يومًا نستمتعُ بتلك الأشياء. بل كنَّا نفتخرُ بها. وكما يقول لِويس، فإنَّ الافتخارَ هو التمتُّعُ بامتلاك أمورٍ أكثر من الآخرين. والافتخارُ هو متعة التفوُّق على الآخرين. فالشَّهوة قد تدفع الرَّجُل إلى النَّوم مع امرأة جميلة، ولكنَّ الشَّهوة هي التي دفعَتْه إلى ذلك. أمَّا الكبرياءُ فتدفع الرَّجُل إلى النَّوم مع امرأةٍ جميلةٍ لكي يُثبتَ قدرتَه على القيام بذلك، ويُثبتَ تفوُّقَه على الآخرين في هذا الأمر. لذا فإنَّ الكبرياءَ تَحرمُه من الحصول على أيَّة متعةٍ منها.

عندما كنتُ في المدرسة، كانَتْ أُمِّي تواظِبُ على قَولِ عباراتٍ مثل: "أرى، يا عزيزي، أنَّ عليك الانضمام إلى نادي الشِّطْرنج". وكنتُ أقول لها: "ولكنِّي أكرهُ الشِّطْرنج يا أمِّي!" وكانت تقولُ لي: "أعلم ذلك، ولكنَّ ذلك سيبدو رائعًا عندما تُقَدِّم طلبَ الالتحاق بالجامعة". ثمَّ كانت تحاولُ ثانيةً: "ألا يُطْعِمون المُشرَّدين والجياع صباحَ كلِّ

coptic-books.blogspot.com

سببٍ وسط المدينة؟ لِمَ لا تتطوَّعُ لمساعدتهم في ذلك؟" وكنتُ أردُّ عليها: "أنا أكرهُ هذه الأمورَ يا أُمّي". وكانت تقولُ لي الشَّيءَ نفسَه: "أعلمُ ذلك يا عزيزي، ولكنَّ ذلك سيبدو رائعًا عندما تُقدِّمُ طلبَ الالتحاق بالجامعة". لذا قمتُ- في أثناء سنوات دراستي في المدرسة- بمختلف أنواع المهامِّ التي لم أكُنْ مُهتمًّا بها شخصيًّا. فقد كنتُ أحاولُ أن أبنيَ لنفسي "سيرة ذاتيَّة" جَذَّابة. وهذا هو ما تفعله الأنا كلَّ حين. فنحن نقوم بأعمالٍ لا نريدها، ونسير وَفقًا لحميةٍ غذائيَّةٍ مُعيَّنة رغم عدم استمتاعنا بها. فنحن نفعلُ الأشياءَ لا بسبب استمتاعِنا بها، بل لمجرَّد جَعْلِ سيرتنا الذاتيَّة مثيرةً للإعجاب. ولكنْ عندما نقارنُ أنفُسَنا بالآخرين ونحاول أن نَظهرَ بمظهرٍ أفضلَ منهم، فإنَّنا نتفاخَر. ونحن نحاول أن نمتدحَ أنفسَنا ونضعَ لأنفسنا سيرةً ذاتيَّة تُثير إعجابَ الآخرين؛ لأنَّنا نسعى بيأسٍ إلى إشباع شعورنا بعدم الكفاية وملءِ ذلك الفراغ فينا. لذا فإنَّ الأنا مشغولةٌ إلى أقصى الحدود. وهي مشغولة كلَّ حين.

أخيرًا، وعلاوة على أنَّ الأنا فارغةٌ ومؤلمةٌ ومشغولةٌ، فهي هشَّةٌ أيضًا. والسَّبب في ذلك هو أنَّ أيَّ شيءٍ مُنتفخ

coptic-books.blogspot.com

أكثر من اللّازم مُعَرَّض للانفجار، تمامًا مثلَ البالون.

وإذا كنَّا مُنتفِخين هواءً، وليس بسبب شيءٍ صلب، فإنَّ الانتفاخَ أو الانكماشَ يُؤدِّيان إلى النتيجة نفسها. فعُقدةُ التفوُّق لا تختلفُ في شيءٍ عن عُقدة النَّقص. فكلاهما ناجمٌ عن الانتفاخ الزَّائد. فالشَّخص الذي يعاني عقدةَ تَفوُّقٍ مُنتفخ ومُعرَّض لخَطَرِ فقدانِ الهواء. والشَّخص الذي يعاني عقدةَ نقصٍ مُفرَغٌ من الهواء في الأصل. فالشَّخصُ الذي يُعاني عقدةَ نقصٍ قد يقولُ لكَ إنَّه يكرَهُ نفسَه، وهو يقولُ الشَّيءَ ذاتَه لنفسه أيضًا. فهو خالٍ من الهواء. وإذا خَلا شيءٌ من الهواء فإنَّ هذا دليلٌ قويٌّ على أنَّه كان منتفخًا قبلًا. لذا ليس هناك فرقٌ كبيرٌ ما بين الخلوِّ من الهواء أوِ الوُقوفِ على شفيرِ الانفجار. فكلاهما يجعلُ الأنا هشَّة.

إذًا، الأنا فارغة، ومؤلمة، ومشغولة؛ ومن ثَمَّ فهي هشَّة. وأودُّ هنا أن أُقدِّم مَثلًا مناسبًا لتَوضيح المقصود. وأنا لا أحاولُ هنا أن أقولَ إنَّ هذه السيِّدة أسوأ من غيرها، ولكنَّها تُظْهِرُ قَدْرًا هائلًا من الإعجاب بالذَّات. فإذا أردْتَ أن ترى

coptic-books.blogspot.com

أُنموذجًا حيًّا لما أتحدَّث بشأنه، فإليك هذا الاقتباسَ من مقابلةٍ أجرَتْها مجلَّةُ ڤوغ (Vogue) مع مادونا (Madonna) منذ مدَّة، حيثُ تحدَّثتْ فيها عن مهنتها. وإليكَ ما قالَتْه:

"إنَّ دافعي في الحياة يأتي من خَوفي من أن أكونَ في حالةٍ وَسَطيَّة. فهذا هو ما يحفزُني دائمًا. ولكنْ ما إن أتخطَّى جزءًا من تلك اللَّعنة وأكتشفُ أنِّي إنسانٌ مميَّزٌ حتَّى أشعرَ بأنِّي إنسانٌ وَسَطيٌّ وغير مُثيرٍ للاهتمام، إلَّا إذا قمتُ بشيءٍ آخر. فمع أنِّي صِرْتُ إنسانًا مُميَّزًا، فما زلتُ أحتاجُ إلى إثبات تَميُّزي. إنَّ هذا الصِّراعَ دائمٌ في حياتي، ولا أظُنُّ أنَّه سيتوقَّف يَومًا".

والحقيقةُ هي أنَّ مَعرفة مادونا بنفسها تَفوق معرفة كثيرين منَّا بأنفسهم. ففي كلِّ مرَّة تُنجزُ فيه شيئًا ما فإنَّها تَشعرُ بالمشاعر التَّالية: "لقد حَكَمَ عليَّ النَّاس بأنِّي مُميَّزة. ولكنِّي أدركُ في اليوم التَّالي أنِّي إنْ لم أستمرَّ في القيام بذلك، لن أعودَ مُميَّزة. فالأنا لديَّ لا تعْرِفُ معنى الاكتفاء. أنا لستُ مُكتفيةً

coptic-books.blogspot.com

بشُعوري بذاتي، ولا برغبتي في أن أكونَ مُهمَّةً، ولا بحاجتي إلى الثقة التامَّة بتميُّزي. وأنا أُفكِّر دائمًا في أنّي نِلتُ ذلك عبر ما قالَه النَّاس عنّي، ومن خلال ما كتبَتْه المجلّات والصُّحف. ولكنّي أجِدُ نفسي في اليوم التّالي أبحثُ عن ذلك الشُّعور في مكانٍ آخر. لماذا؟ لأنَّ الأنا عندي شَرِهة. إنَّها هاويةٌ سوداءُ لا قَعرَ لها. فمهما ألقيتُ فيها فإنَّها لا تمتلئ. فأنا أضعُ فيها أشياءَ كثيرةً كلَّ صباح، وأُطعمُها باستمرار، لكنّي أجِدُها فارغةً في المساء. صحيحٌ أنّي صِرْتُ إنسانًا مُهمًّا، لكنّي لا أزالُ أريدُ أن أكونَ مُهمَّة". وقد نميلُ إلى التَّفكير في أنَّ مادونا مُصابةٌ باضطرابٍ أو قلقٍ عصبيّ، ولكنَّها ليسَتْ كذلك. فهي تعرفُ نفسَها جيِّدًا، بل أفضل من كثيرين.

إنَّ هذه هي الحالة الاعتياديَّة للأنا البشريَّة. وهي ما يتحدَّث بشأنه بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس. فجميع هؤلاء المؤمنين الذين كانوا يتَخاصَمون مع الآخرين ليُبرهِنوا على علاقتهم المميَّزة به كانوا- في الحقيقة- يُظهِرون كمًّا هائلًا من الكبرياء أو الانتفاخ. فَهُم لم يكونوا يستَمتِعون بحقيقةِ معرفتهم ببولس، بل كانوا يَستغلُّون علاقتهم به للترفُّع بعضهم على بعض في الكنيسة.

coptic-books.blogspot.com

ولكنَّ بولس أرادَهم أن يعرفوا الفرقَ الذي يُحدِثُه الإنجيل، ويُدركوا الجوانبَ التي غَيَّرها الإنجيلُ في حياته. انظر إلى الآيتَين ٣ و٤. فهو يُبيِّن لهم في هاتَين الآيتَين كيف غيَّر الإنجيل إحساسَه بقيمته، وإحساسَه باحترامه لذاته وهُوِيَّته. لذا صارَتِ الأنا لديه تعملُ بطريقةٍ مختلفةٍ تمامًا بعد اهتِدائه.

coptic-books.blogspot.com

النظرةُ المُختلفة إلى الذَّات

انظر إلى ما يقولُه بولس الرَّسول. فهو يُذكِّر مؤمني الكنيسة في كورنثوس (في العددَين ١ و٢) بأنَّه خادمٌ للسيِّد المسيح، وبأنَّ لديه خدمةً ينبغي له القيام بها. ولكنَّه يُخبرهم، بعد ذلك، بأنَّه في ما يختصُّ بتلك الخدمة فإنَّه لا يكترثُ إنْ كان يُحكَمُ فيه منهم أو من أيَّةِ محكمةٍ بشريَّة (انظر العددَين ٣ و٤). والكلمة المتَرجَمة "يُحكَم" تُذكِّرنا بالشَّيء الذي تَتوق إليه مادونا. فهي تتوقُ إلى سَماع أحكامِ النَّاس وعبارات المدح والثَّناء. ولكنَّ بولسَ لا يَنتظرُ من الكورِنثيِّين ولا من أيَّة محكمةٍ بشريَّةٍ أن يحكُموا فيه بأنَّه شخصٌ ذو قيمة.

coptic-books.blogspot.com

لذا يقولُ بولسُ للكورنثيّين إنَّه لا يكترثُ بما يفتَكرونَه فيه. وهو لا يكترثُ بما يقولُه عنه أيُّ شخصٍ آخر. والحقيقة هي أنَّه كان يَعلمُ أنَّ هُويَّته ليسَتْ قائمةً على ما يقولُه النَّاس عنه. بعبارةٍ أُخرى، كأنَّ لِسانَ حاله هو: "أنا لا أكترثُ بما تقولونه عنِّي. ولا أهتمُّ بما يقولُه الآخرون!" فقد كانت قيمةُ بولس في نظرِ نفسِه، واحترامُه لنفسه، وهُويَّته، مُستقلَّةً تمامًا عن أحكامهم وتقييمهم له.

إنَّ هُويَّةَ بولسَ لم تكن مُقترنةً بآراء النَّاس فيه. والسؤالُ الذي يَطرحُ نفسَه هو: كيف يمكنُنا الاستمرارُ في حياتنا دون أن نَسمحَ لآراء الآخرين بالهَيمَنةِ علينا؟ وفي رأيك، كيف يمكنُنا بلوغُ هذا الهدف؟ قد يقولُ أغلبيَّة النَّاس إنَّ الأمرَ جَليّ، فجميعُ العاملين في حَقْلِ المشورةِ يتَّفقون في الرَّأي بأنَّه علينا ألَّا نتأثَّرَ بآراء الآخرين. وهم يقولون إنَّه لا يَنبغي لنا أن نعيشَ وَفقًا لما يقولُه الآخرون. فمعاييرُهم ليسَتْ مُهمَّة، ونظرتهم إلينا ليسَتْ ذاتَ قيمة. لذا لا مسوِّغَ للاهتمام بما يقولونه عنَّا. فالشَّيءُ الوحيدُ الذي ينبغي أن نُركِّزَ عليه- في رأيهم- هو نظرتي أنا إلى نفسي. فالأمرُ لا يتوقَّفُ على معاييرِ النَّاس، بل يجب عليَّ

coptic-books.blogspot.com

أن أهتمَّ فقط بمعاييري الشخصيَّة. ويجب أن أختارَ معاييري بنفسي. لذا فأغلبيَّة العاملين في حقل المشورة ينصحونك قائلين: "حَدِّد شخصيَّتك التي تَتَمنَّاها لنفسك، وافعَلْ ما تراه مناسبًا! فالمهمُّ هو رأيكَ أنتَ في ذاتك".

في ضَوء ذلك، إذا كان المرءُ يُعاني بسبب عدم تقديره لذاته، فيبدو أنَّ عالمنا المعاصِرَ يُقدِّم إليه طريقةً واحدةً لمعالجة المشكلة: أن يُقدِّرَ ذاتَه أكثرَ فأكثر. فنحن نقولُ للآخرين إنَّه ينبغي لهم أن يَرَوا أنفسَهم بوصفهم أشخاصًا رائعين ومُميَّزين، ونُخبرهم بأنْ ينظروا إلى إنجازاتهم العظيمة، نقول لهم إنَّ كلَّ ما يحتاجون إليه هو التوقُّفُ عن القلق بشأن ما يقولُه الآخرون عنهم، ونُخبرهم بأنَّهم يحتاجون إلى وَضْع معاييرهم الشخصيَّة وتحقيقها، ثُمَّ أن يُقيِّموا أنفسَهم بأنفسِهم.

ولكنَّ بولس كان مختلفًا تمامًا. فهو لم يَكُن يُبالي إنْ كانَ يُحكَمُ فيه من الكورنثيِّين أو من أيَّة محكمةٍ بشريَّة. وهو يَخطو خطوةً أُخرى بالاتِّجاه نفسه فيقول إنَّه ليس يَحكُمُ في نفسه أيضًا. وكأنَّ لِسانَ حاله هو: "أنا لا أُكترثُ برأيكم فيَّ. كما أنِّي لا أكترثُ أيضًا برأيي في نفسي. ببساطة، أنا لا

coptic-books.blogspot.com

أهتمُّ بنظرتكم إليَّ، ولا بنظرتي إلى نفسي". بعبارةٍ أُخرى، فإنَّ الضَّميرَ الحيَّ لا يُغيِّر واقع الحال. وهذا هو ما يؤكِّده بولس في العدد الرَّابع إذ يقول: "فَإِنِّي لَستُ أَشعرُ بِشَيءٍ في ذاتي. لكنَّني لَستُ بِذلكَ مُبرَّرًا". فمع أنَّ ضميرَه قد يكونُ حيًّا، فهو يَعلَمُ جيِّدًا أنَّ ضميرَه الحيَّ لا يَعني أنَّه بريء. فربَّما كان هتلر يشعرُ بأنَّه صاحبُ ضميرٍ حيّ. ولكنَّ هذا لا يعني البتَّة أنَّه كان بريئًا.

والآن، ما الذي يقولُه بولس للأشخاص الذين يَنصَحونَه بأن يَضعَ معاييرَه بنفسه؟ من الواضح أنَّه يقولُ لهم إنَّ هذا فخّ، وإنَّه لن يَقَعَ فيه! فإذا كنَّا نضعُ معاييرَنا الذاتيَّة لتكونَ وسيلةً للتملُّص من معايير الآخرين، نكونُ قد وقَعْنا في الفخّ. ولكنَّ هذا لا يُعَدُّ حلًّا. فقد نظُنُّ أنَّنا وجَدْنا الحلَّ الأمثلَ من خلال توطيد احترامنا لذاتنا بالسُّلوك وَفقَ معاييرنا الشخصيَّة أو معايير شخصٍ ما. ولكنَّ حلًّا كهذا لا يُحرِّر الإنسان. فمثلًا، أنا عاجزٌ عن بلوغ المعايير التي وضعَها لي أبي وأمِّي، لذا فإنِّي لستُ مطمئنَّ البال. وعاجزٌ عن بلوغ معاييرك، وهذا يجعَلُني أشعرُ على نحوٍ سيِّئ. وعاجزٌ عن بلوغ معايير المجتمع،

coptic-books.blogspot.com

وهذا يجعَلُني في حالٍ يُرثى لها. وعاجزٌ عن بلوغ معايير المجتمعات الأُخرى، وهذا يجعَلُني مُحَطَّمًا من الدَّاخل. لذا ربَّما كان الحلُّ هو أن أضعَ معاييري الذاتيَّة! ولكنْ حتَّى لو فعلتُ ذلك، سأظلُّ عاجزًا عن بلوغها وتحقيقها. وهذا يعني أنِّي لن أتخلَّصَ من مشاعري المضطربة، إلَّا إذا كانَتِ المعاييرُ التي وضعتُها لنفسي متدنِّيةً جدًّا. ولكنْ هل تَصلُحُ المعاييرُ المتدنِّية لتكونَ حلًّا؟ لا، البتَّة! وهذا يجعلُني أشعرُ على نحوٍ سيِّئ؛ لأنِّي أعلمُ أنِّي صاحبُ معاييرَ متدنِّية. في ضَوء ذلك، فإنَّ محاوَلةَ تعزيز احترامنا لذواتنا من خلال الارتقاء إلى معاييرَ وَضَعْناها نحن (أو ربَّما وَضَعَها لنا أناسٌ آخرون) هي ليسَتْ حلًّا، بل هي مُجرَّد فخّ!

لذا نلحَظُ أنَّ بولس لم يؤسِّس هُوِيَّته على آراء الكورِنثيِّين. وهو لا يُقَيِّم نفسه بصفته شخصًا "ذا قيمة" على أساسِ رأيِهم فيه. وهو لا يَستمدُّ ثقتَه بنفسه منهم. ولكنَّه- في الوقت نفسه- لا يَستمدُّها من نفسه أيضًا. فهو يَعلمُ أنَّ محاوَلةَ تحقيق احترام الذَّات عبر العَيش وَفقًا لمعايير مُعيَّنة هي مُجرَّد فخّ! والآن، فلنُحاوِلْ معًا معرفةَ المصدر

coptic-books.blogspot.com

الذي يَستمدُّ منه بولس إحساسَه بهُوِيَّته. ولكنْ فلْنَحذرْ! ففي هذه النُّقطة، يتحرَّكُ بولسُ خارجَ الإطار المألوف لدينا جميعًا. وهو يَطَأ نِطاقًا لا عِلْم لنا به.

كان بولس رَجلًا ذا منزلةٍ رفيعة. ولا أعتقد أنَّ أحدًا يُخالفُني الرَّأي أنَّه أَحَدُ القادة الستَّة أو السَّبعة الأكثر تأثيرًا في تاريخ الجنس البشريّ. أجل، إنَّه شخصٌ بين الأكثر تأثيرًا في التاريخ. فقد كان رَجلًا ذا ثِقْلٍ كبير، وتأثيرٍ هائل، وثِقةٍ نادرةِ الوُجود. فقد كان يسيرُ قُدُمًا دون أن يَسمحَ لأيِّ شيءٍ بإعاقته. ومع ذلك فإنَّه يقولُ في رسالته الأولى إلى تيموثاوس: "صادقةٌ هيَ الكَلمةُ وَمُستَحقَّةٌ كلَّ قُبول: أنَّ المسيحَ يَسوعَ جاءَ إلى العالَم لِيُخَلِّصَ الخُطاةَ الذينَ أَوَّلُهم أَنا" (١تيموثاوس ١: ١٥). ولعلَّك لاحظتَ أنَّه لا يقول "الذينَ أوَّلُهم كنتُ أنا"، بل يقول: "الذينَ أوَّلُهم أنا". بعبارةٍ أُخرى: "أنا أسوأُ الكلّ!" وما أبعدَ ذلك عن تفكيرنا وشخصيَّتنا! فنحن لا نسمعُ عادةً أُناسًا واثقين بأنفسهم جدًّا يقولون إنَّهم أسوأ الجميع. ونحن لسنا مُعتادين سماعَ شخصٍ صادقٍ يَعترفُ بجميع مفاسده الأخلاقيَّة رُغم منزلتِه الرَّفيعة وثقتِه الشَّديدة بنفسه.

coptic-books.blogspot.com

ونحن عاجزون عن القيام بذلك. أتدري لماذا؟ لأنَّنا نَحكم على أنفسنا. ولكنَّ بولس لا يفعلُ ذلك. فعندما يقول إنَّه لا يَسمحُ للكورِنثيِّين بأن يحكموا فيه، وإنَّه لا يَحكُم في نفسه، فإنَّه يعني بذلك أنَّه يَعلم كلَّ شيءٍ عن خطاياه، ولكنَّه لا يقرنُها بنفسه ولا بهُويَّته. فخطاياه وهُوِيَّته أمران مُنفَصِلان، وهو يرفضُ الاشتراكَ في هذه اللُّعبة. فهو لا يَسمحُ لأيَّة خطيَّةٍ يقترفها بأن تُدمِّر إحساسَه بهُويَّته؛ لأنَّه لا يَقرنُ ما بين الأمرَين. وهو لا ينظُرُ أيضًا إلى إنجازاته نظرةَ إعجابٍ ولا يُهَنِّئ نفسَه عليها. فهو يَرى كلَّ أشكالِ الخطيَّة في نفسه، ويَرى، في الوقت نفسه، كلَّ أنواع الإنجازات. ولكنَّه يَرفضُ أن يَقرنَ هذا الأمرَ بشخصيَّته أو هُوِيَّته. لذا مع أنَّه يَعترف بأنَّه أوَّل الخُطاة، فإنَّ هذه الحقيقة لم تَمنعْه من القيام بالمهامِّ التي دعاه الله للقيام بها.

وما أبعدَ الفارقَ بيننا وبين بولس! فإذا كنتُ أظُنُّ نفسي شخصًا سيِّئًا، من المؤكَّد أنَّ ثقتي بنفسي ستكونُ مهزوزةً أو مَعدومة. وإذا كنتُ أنظرُ إلى نفسي بصفتي إنسانًا خاطئًا، أو إنسانًا ملآنًا بالكبرياء، أو إنسانًا ملآنًا شهوةً وغضبًا وجَشَعًا وأمورًا أُخرى ذَكَرها بولس، فمن المؤكَّد

coptic-books.blogspot.com

أنِّي لن أكونَ شخصًا واثقًا بنفسي. لماذا؟ لأنَّنا نحكمُ على أنفسنا. فنحن نَضَعُ معاييرَنا بأنفسنا ثُمَّ نَدين أنفسنا وَفقًا لهذه المعايير. والحقيقة هي أنَّ الأنا لن تكونَ راضيةً بهذه الطَّريقة! بتاتًا!

ولا شكَّ أنَّ ما يقولُه بولس هنا يُثيرُ الدَّهشة حقًّا: "أنا لا أكترثُ بحُكْمكم فيَّ، ولا بِحُكْمي في نفسي". وهو بذلك يأتي بنا إلى نِطاقٍ جديدٍ لا عِلْم لنا به. فالأنا عند بولس ليست مُنتفخة، بل مُمتلئة. وهو يتحدَّث بشأن الاتِّضاع، مع أنِّي لا أُحبِّذ استخدام الكلمة "اتِّضاع"؛ لأنَّ معناها الحقيقيَّ يختلفُ عن المعنى الذي نُفكِّر فيه نحن. وعلى أيَّة حالٍ يقولُ الرَّسولُ بولس هنا إنَّه بَلَغَ مرحلةً لم تَعُدْ فيها الأنا لديه تجذبُ الأنظارِ إليها كما لو أنَّها مختلفةٌ عن بقيَّة أعضاء جسده. بعبارةٍ أُخرى، فإنَّه لم يَعُدْ يُفكِّر في نفسه. فعندما يَرتكبُ أمرًا خاطئًا أو صائبًا، فإنَّه لم يَعُدْ يقرن ذلك الشَّيء بنفسه.

كَتَبَ سي. أس. لِويس (في نهاية الفصل الذي تَحدَّثَ فيه بشأن الكبرياء في كتابه "**المسيحيَّة المجرَّدة**") مُلاحظةً

coptic-books.blogspot.com

جديرةً بالانتباه عن التَّواضُع بمعناه وَفقَ الكتاب المقدَّس. فهو يقول إنَّنا إذا التقَينا شخصًا مُتواضعًا حقًّا، لن يخطر ببالنا- بعدَ وداعِنا له- أنَّه كان متواضعًا. فالشَّخصُ المتواضعُ لا يقولُ لنا دائمًا إنَّه "نَكرة" (لأنَّ الشَّخص الذي يستمرُّ في القَول إنَّه "نَكرة" هو- في حقيقة الأمر- شخصٌ مَهووسٌ بنفسه). لذا فإنَّ الشَّيء الذي سنتذكَّرُه بعدَ مقابلةِ شخصٍ متواضعٍ حقًّا (وفَقَ المعنى الوارد في الكتاب المقدَّس) هو مقدارُ اهتمامِه بنا. فجَوهرُ التَّواضُع وَفقَ الكتاب المقدَّس هو ليس الإعلاء من شأن نفسي، ولا الحطُّ منها، بل عدم الانهماك بها.

إنَّ التَّواضُع- وَفقَ مفهوم الكتاب المقدَّس- يعني عدمَ حاجتي إلى التَّفكير في نفسي، وعدم حاجتي إلى رَبْطِ الأمور بشخصيَّتي؛ بل هو التوقُّفُ عن التَّفكير في المنطق التَّالي: "ما دمتُ مَوجودًا مع هؤلاء الأشخاص في هذه الغُرفة، هل هذا يجعَلُني أظهرُ بمظهرِ الشَّخص المهمّ؟ وهل أنا راغبٌ في وُجودي هنا؟" فالتَّواضُع- بمفهوم الكتاب المقدَّس- يعني أن أتوقَّفَ عن رَبطِ كلِّ عملٍ أو حديثٍ بنفسي، كما يعني أيضًا أن أتوقَّفَ عن التَّفكير في نفسي. إنَّها حرِّيَّة نِسيان

coptic-books.blogspot.com

الذَّات. أو بعبارةٍ أُخرى، هي الرَّاحةُ المباركة التي لا يمكنُنا الحصولُ عليها إلَّا عبرَ نِسيان ذواتنا.

إنَّ التَّواضُعَ- بمفهوم الكتاب المقدَّس- يعني أنَّ الأنا ليسَتْ مُنتفخةً، بل مُتلئةٌ. وهذا مفهومٌ فريدٌ تمامًا. فهل نتحدَّثُ نحن بشأن احترام الذَّات إلى أقصى الحدود؟ لا! إذًا، هل نحن نتحدَّث بشأن عدم احترام الذَّات؟ بالتَّأكيد لا! فالأمر برُمَّته لا يَختصُّ باحترام الذَّات. فالرَّسول بولس يَرفض- ببساطةٍ- أن يشتركَ في هذه اللُّعبة. فهو يقول: "أنا لا أُكترثُ برأيكم فيَّ. كما أنِّي لا أكترثُ أيضًا برأيي في نفسي". وهنا يَكمُنُ السِّرّ!

إنَّ الشَّخصَ المتواضعَ- وَفقَ مفهوم الكتاب المقدَّس- ليس شخصًا يُبغضُ نفسَه ولا شخصًا مُغرَمًا بنفسه، بل هو شخصٌ لا يلتفتُ كثيرًا لنفسه لأنَّ الأنا عنده أشبَهُ ما تكون بأصابع قَدمَيه. فهي أعضاءٌ عاملة- إنْ جازَ التَّعبير. وهي لا تلفتُ النَّظرَ إلى نفسها. فأصابعُ القدمَين تقومُ بدَورِها، والأنا تقومُ بِدَورِها أيضًا، دون أن تحاولَ أيٌّ منهما لَفْتَ الأنظار إليها.

coptic-books.blogspot.com

وإليك هذا الاختبار الصَّغير: لا يتأذَّى الشَّخصُ الذي لا يُفكِّر في نفسه كثيرًا بسبب انتقاد الآخرين له. بعبارةٍ أُخرى، لا تتحطَّمُ روحُه المعنويَّة بسبب هذه الانتقادات. وهو لا يُعاني أرقًا طَوال اللَّيل بسبب التَّفكير في الأمر، ولا ينزعج بسبب ذلك. لماذا؟ لأنَّ الشَّخصَ الذي يَسمحُ لمعنويَّاته بأن تتحطَّم بسبب النَّقد هو شخصٌ يُبالغ في ردِّ فعله تُجاهَ آراء الآخرين فيه أو نظرتهم إليه. والنَّاس يَنصحون الشَّخص الذي انهارَ وتَحطَّمتْ مَعنويَّاته بسبب النَّقد بأن يتخطَّى تلك المسألة بالقَول: "مَن يُبالي برأي هؤلاء؟ ما يَعنيني هو رأيي أنا. مَن يُبالي بآراء هؤلاء الرُّعاع؟ إنَّ هذا لا يُضايقُني". فهناك أُناسٌ يتحطَّمون بسبب النَّقد، وأُناسٌ لا يتحطَّمون بسبب النَّقد لأنَّهم لا يُصغون إليه. فَهُم لا يُصغون إليه ولا يتعلَّمون منه لأنَّهم لا يكترثون به. فَهُم يَعرفون أنفسهم وما يُفكِّرون فيه. بعبارة أُخرى، فإنَّ الحلَّ الوحيدَ- في رأي أغلبيَّة النَّاس- لمعالجة نظرتنا الدونيَّةِ إلى ذواتنا هو الكبرياء. لكنَّ هذا ليس حلًّا. فالنظرة الدونيَّة إلى الذَّات والكبرياء تُلحِقان ضَرَرًا هائلًا بمستقبلنا وبالنَّاس المحيطين بنا.

coptic-books.blogspot.com

أمَّا الشَّخصُ الذي لا يُفكِّر في نفسه فهو على النَّقيض تمامًا. فعندما يواجهُ الشَّخصُ صاحبَ الأنا غير المنتفخة، بل الممتلئة، انتقادًا، فإنَّه لا يَتحطَّم. فهو يُصغي إلى النَّقد ويرى فيه فُرصة مواتيةً للتَّغيير. هل يبدو ذلك إمعانًا في المثاليَّة؟ الحقيقةُ هي أنَّه كلَّما زادَ فَهمُنا لكلمةِ الله، زادَتْ رغبتُنا في التَّغيير. ألا ترغبُ- يا صديقي- في أن تكونَ شخصًا لا ينتظرُ الإكرامَ من الناس، ولا يَخْشاه؟ كذلك، ألا تريدُ أن تكونَ شخصًا لا يَتوقُ إلى سَماع عباراتِ المدح والثَّناء من الآخرين، ولكنَّه- في الوقت نفسه- لا يخشى سماعها؟ ألا ترغب في أن تكونَ شخصًا غير مزهُوٍّ بنفسه عندما يرى نفسه في المرآة، ولكنَّه لا يُبغض نفسَه أيضًا؟ ألا ترغبُ في أن تكونَ شخصًا مُتحرِّرًا من الأوهام والتخيُّلات التي يَسعَون من خلالها إلى إشباع رغبتهم في التفوُّق على الآخرين؟ وإذا كنتُ شخصًا مُعتادًا تأنيبَ نفسِكَ والعَيشَ في النَّدم، ألا ترغبُ في التحرُّر من ذلك؟ ألا ترغبُ في أن تكونَ ذلك المتزلِّج الذي يفوزُ بالميدالية الفضِّيَّة، ولكنَّه في الوقت نفسه مُعجبٌ بتلك الشَّقلبات الثُّلاثيَّة التي قامَ بها صاحبُ الميدالية الذهبيَّة؟ ألا ترغبُ في أن تُحِبَّ ما حدث

coptic-books.blogspot.com

كما تُحِبُّ شروقَ الشَّمس؟ ألا ترغب في أن تُحِبَّ حقيقةَ أنَّ تلك الشَّقلبات كانت جميلةً ورائعة؟ فلا يَهُمُّ إن كنتَ أنتَ الفائزَ أم ذلك الشَّخص. ولا يَهُمُّ إنْ كنتَ أنت مَن قامَ بها أم ذلك الشَّخص. فأنت فَرِحٌ لأنَّه قام بها بالطَّريقة ذاتها التي ترغبُ أنتَ في القيام بها بنفسك.

ربَّما تقولُ إنَّك لا تعرفُ شخصًا يُفَكِّر هكذا ويتصرَّف هكذا. ولكنَّ الفُرصةَ مُتاحةٌ لكَ ولي لتَحقيقِ ذلك إن تَمَثَّلنا بالرَّسول بولس. ففي وُسعنا أن نستمتعَ بالأشياء التي لا نقومُ بها نحن أو التي لا تخُصُّنا. فما أقومُ به هو ليسَ لتَمجيد ذاتي. وإذا كنتُ أُمارس التزلُّج فإنِّي لا أفعلُ ذلك بهوسٍ زائد بنفسي فقط. وإذا كنتُ أعيشُ قصَّة حبٍّ فإنَّ الأمرَ ليس مُتمركزًا حَولي أنا، ولا حولَ ما أريدُه لنفسي. فالحقيقة هي أنِّي أستطيعُ أن أستمتعَ بالأمورِ كما هي. فأنا لا أقومُ بها لأجل إضافتها إلى سيرتي الذاتيَّة، ولا لكي أبدوَ بصورةٍ حَسنةٍ في الجامعة أو في طلبِ التقدُّم إلى وظيفة. وهي ليسَتْ مجرَّد وسيلةٍ أملأ بها الفراغ. ألا ترغب في ذلك؟ إنَّ هذا النَّهج غريبٌ عن تفكيرنا وحياتنا، لكنَّه التَّواضُعُ بمفهوم الكتاب

coptic-books.blogspot.com

المقدَّس. وهو الحياة المباركة القائمة على عدم الانهماك في الذَّات. وهذا يقتضي منِّي ألَّا أُعليَ من شأن نفسي كما هي الحال في الثَّقافات المعاصرة؛ ولا أن أُقَلِّل من شأنها كما هي الحال في الثَّقافات التقليديَّة، بل أن أقلِّلَ من التَّفكير في نفسي.

coptic-books.blogspot.com

كيفيَّةُ الحصول على تلك النظرة المُختلفة

كيف نالَ بولس هذه الحياةَ المباركةَ القائمةَ على عدم الانهماك في الذَّات؟ مع أنَّ بولس يُجيبُنا عن هذا السُّؤال، فإنَّنا نحتاجُ لأن نمعنَ في النَّظر في إجابته. فهو يقولُ في بداية حديثه: "أنا لا أُكترثُ برأيكم فيَّ. كما أنِّي لا أكترثُ أيضًا برأيي في نفسي". بمعنًى آخر، هو لا ينتظرُ منهم تقييمًا، ولا يَنتظر تقييمًا حتَّى من نفسه. ثُمَّ يقول: "فَإنِّي لَستُ أَشعُرُ بِشَيءٍ في ذاتي. لكنَّني لَستُ بِذلِكَ مُبَرَّرًا". والكلمة المَترجَمة "مُبرَّرًا" مُشتقَّة من الكلمة "يُبَرِّر"، وهي الكلمةُ نفسُها التي يستخدمُها في رسالته إلى أهل رومية ورسالته

coptic-books.blogspot.com

إلى أهل غلاطيَّة. ويقول بولس هنا إنَّه رُغمَ أنَّ ضميرَه حَيّ، فإنَّ هذا لا يُبرِّره.

إنَّ ما يبحَثُ عنه بولس، وما تبحثُ عنه مادونا، وما نبحثُ عنه جميعنا هو الحُكم النهائيُّ بأنَّنا ذوو شأنٍ وقيمة. ونحن إنَّما نبحثُ عن هذا الحُكم النهائيِّ كلَّ يومٍ عبرَ مختلَف مواقف الحياة والأشخاص المُحيطين بنا. وهذا يعني أنَّنا نَخضعُ للمُحاكمة يوميًّا. فنحن نَضَعُ أنفسنا في قاعة المحكمة كلَّ يوم. ولكنْ هل لاحَظْنا كيف يقولُ بولس إنَّه لا يكترثُ برأي الكورِنثيِّين فيه، ولا برأي أيَّةِ محكمةٍ بشريَّة؟ ومن الغريب أنَّه يُشيرُ هنا إلى المحاكم البشريَّة؛ فالكورنثيُّون لم يكونوا محكمةً. هذا صحيح، ولكنِّي أرى أنَّه يتكلَّم مجازيًّا هنا. وهو يقولُ إنَّ المشكلةَ في تقدير الذَّات (إعلاءِ المرء من شأن نفسه، أو الحطِّ منها) هي أنَّنا نقفُ في قاعة المحكمة كلَّ يوم، وأنَّنا نُحاكَم يوميًّا. وهذه هي الطَّريقة التي تعملُ بها هُويَّة كلٍّ منَّا. ففي قاعة المحكمة، هناك المدَّعي العامُّ ومُحامي الدِّفاع. وكلُّ ما نفعلُه يُعَدُّ شهادةَ إثباتٍ لإدانتنا، أو شهادةَ نَفيٍ لتبرِئَتِنا. لذا فإنَّنا نشعرُ أحيانًا بأنَّنا ربحنا الدَّعوى، ولكنَّنا نَشعرُ في أحيانٍ

coptic-books.blogspot.com

أُخرى بأنّنا خسرناها. ولكنَّ بولس يقولُ إنَّه اكتشفَ السِّرّ. فقَدِ انتَهى زمنُ المحاكم بالنِّسبة إليه، وغادرَ قاعةَ المحكمة إلى غير رَجْعَة؛ إذِ انتهى الأمر. أجل، انتهى! لماذا؟ لأنَّ الحُكمَ النِّهائيَّ مَوجودٌ في داخلنا.

ولكنْ كيف يمكنُ لهذا أن يَحدُث؟ يَشرحُ بولس ذلك بمفرداتٍ سهلة. فهو يُدركُ أنَّهم عاجزون عن تَبريره ويُدرك أيضًا أنَّه عاجزٌ عن تبرير نفسه. لذلك، ماذا يقول؟ يقولُ إنَّ الربَّ هو الذي يَحكُم فيه. وهذا هو الرَّأي الوحيد المهمّ!

هل لاحظْتَ أنَّ إنجيلَ الربِّ يسوع المسيح هو الوحيد الذي يَمنحك الحُكم قبل أن يَرى أداءَك؟ فربَّما يقولُ المُلْحِدُ إنَّه يَستمدُّ نظرتَه إلى نفسه من خلال صلاحه وأخلاقه الرَّفيعة. فإنْ كان المرءُ صالحًا، فإنَّه يأمَلُ أن يتمكَّن- في نهاية المطاف- من الحصول على حُكْم يؤكِّد صلاحَه. فالأداءُ- في نظرهم- يقودُ إلى الحُكْم. كذلك، فإنَّ البوذيَّ يعتمدُ في الحُكْم على الأداء. وإذا كنتَ تتبعُ ديانةً أُخرى، فإنَّ أداءك هو الذي يُقرِّر الحُكْم الصَّادر بحقِّك. وهذا يعني أنَّ عليك الوُقوفَ في قاعة المحكمة كلَّ يوم، كما أنَّ عليك

coptic-books.blogspot.com

أن تخضعَ للمحاكمة يوميًّا. وهنا تَكمُنُ المشكلة. ولكنَّ بولس يقولُ إنَّ الأمرَ مُختلفٌ في المسيحيَّة إذ إنَّ الحُكمَ هو الذي يؤدِّي إلى الأداء، وليس العكس. ففي المسيحيَّة، في اللَّحظة التي تؤمن فيها، يقول الله: "هذا هو ابني الحَبيبُ الذي به سُرِرْتُ".[٤] أو لنقرأ ما جاء في رومية ٨: ١: "إذًا لا شَيءَ من الدَّينونةِ الآن على الَّذينَ هم في المسيح يسوع". فوَفقًا لتعاليم المسيحيَّة، في اللَّحظة التي نؤمن فيها، فإنَّ الله يَحسبُ أداءَ السيِّدِ المسيح الكاملَ لنا، أي كما لو أنَّ هذا الأداءَ هو أداؤنا. وهو يَتبنَّانا في عائلته. بمعنًى آخر، هو يقولُ لنا الكلماتِ ذاتَها التي قالها يَومًا للسيِّد المسيح: "أنتَ ابني الحبيبُ الذي به سُرِرْتُ".[٥]

وكما تَرى، فإنَّ الحُكمَ يأتي من الدَّاخل. وهذا يَجعلُ أدائي قائمًا على الحُكم. فلأنَّ الله يُحبُّني ويَقبَلُني، أنا لستُ مُضطرًّا إلى القيام بأيِّ عملٍ لِبناء سيرتي الذاتيَّة. وأنا لستُ مُضطرًّا إلى القيام بأيِّ شيءٍ كي أَظهَرَ بمظهرٍ حَسَن. بل يمكنني القيامُ بالأُمور لمُجَرَّد التمتُّع بالقيام بها. ويمكنني أن أساعدَ

٤) انظُرْ متّى ٣: ١٧.

٥) مرقس ١: ١١.

coptic-books.blogspot.com

الناسَ لمجرَّد تقديم يَدِ العَون إليهم، لا لكي أُعزِّزَ مشاعري تُجاهَ نفسي، ولا لكي أملأ الفراغ الذي أشعرُ به في أعماقي.

أمَّا في ما يَختصُّ بكلِّ شكلٍ آخرَ من أشكال الهُويَّة والمدح والثَّناء الذي قد نُسبغُه على أنفسنا، فإنَّ الأمرَ كلَّه يَتلخَّصُ في أنَّنا نَعتمدُ في الحُكْم على الأداء. ومع أنَّه يمكنُ للمرءِ أن يشعُرَ بأمانٍ جُزئيٍّ عندما يُصنِّفُ نفسَه بوصفه شخصًا صالحًا أو حرًّا أو مُتديِّنًا أو فاضلًا، فإنَّ المشكلةَ تظلُّ على حالها دائمًا في أنَّ الأداء يؤدِّي إلى الحُكم. ولكنَّ الحُكم لا يأتي بهذه الطَّريقة. وهذا هو ما قالَتْه مادونا. وأعتقدُ أنَّها كانت تَعلمُ ذلك جيِّدًا. فقد قامَتْ مادونا بأمورٍ لن نتمكَّن نحن من القيام بها. ومع ذلك، فإنَّها لم تَشعُرْ بأنَّ ما فعلَتْه كان كافيًا. فهي تمتلكُ مَوهبةً فذَّةً وجُرأةً فريدةً. ومع ذلك فإنَّها تقول، رغم كلِّ ما فعلَتْه، فهي لم تَجِد الحُكمَ النِّهائيَّ الذي تَصبو إليه. فالأداء لا يؤدِّي إلى حُكْمٍ نهائيّ.

أمَّا في الإيمان المسيحيّ، فإنَّ الحُكْمَ يَدفعُكَ إلى الأداء. أجل، فالحُكم هو الذي يدفعُكَ إلى الأداء. ولكنْ كيف يحدُثُ ذلك؟ لنقرأ ما فعلَه بولس: خرجَ من قاعة المحكمة،

coptic-books.blogspot.com

ولم يَعُدْ خاضعًا للمحاكمة. كيف؟ لأنَّ يسوع حُوكِمَ بدلًا عنه، ولأنَّ يسوع دَخَل قاعةَ المحكمة بدلًا عنه. أجل، لقد حُوكِمَ يسوعُ محاكمةً ظالمةً في محكمةٍ هَزليَّة، ولكنَّه لم يتذمَّر. فقد كان "كَشاةٍ تُساقُ إلَى الذَّبح، وكنعْجةٍ صامتةٍ أمامَ جازِّيها فَلَمْ يَفْتَحْ فاهُ". وقد لُكِمَ وَضُرِبَ وَأُعدِمَ صَلبًا. لماذا؟ لأنَّه جاءَ ليَموتَ بدلًا عنَّا. فقد حَمَل عنَّا الدَّينونة التي نستحقُّها نحن، وحُوكم لئلَّا نُحاكَم نحن في ما بعد. لذا فإنَّ كلَّ ما هو مطلوبٌ منِّي هو أن أطلبَ إلى الله أن يَقبَلَني على أساسِ ما فعلَه الربُّ يسوع لأجلي. وحينئذٍ، فإنَّ الشَّخصَ الوحيدَ (إنْ جازَ القَولُ) الذي يَهمُّني رأيُه سينظرُ إليَّ ويجدُني أثمنَ من جميع لآلئ الأرض.

والآن، هل سنتَضايَقُ من عدم اكتراث الآخرين بنا؟ وهل سننزعج إنْ تجاهَلَنا أحَدُهم؟ وهل سنُبالي كثيرًا بمظهرنا الذي نراه في المرآة؟

سأوجِّه حديثي الآن إلى الأشخاص الذين يسمعون هذا الكلام أوَّل مرَّة؛ فقد ترغبُ في تصديق ذلك. وإليك ما سأقولُه لك: هناك أشخاصٌ لا يُدركون الفرقَ ما بين

coptic-books.blogspot.com

هُويَّة المؤمن وأيَّة هُويَّةٍ أُخرى. وهُم يَصِفون أنفسَهم بأنَّهم مؤمنون، ويعتقدون أنَّ سلوكَهم أرقى ما يكون. وهم يَرتادون الكنيسةَ على رجاء أن يأخذَهم الله يومًا إلى السَّماء. ولكنْ فلأقُلْ ما يلي: إنَّ الهُويَّة المسيحيَّةَ الحقيقيَّةَ تَعملُ بطريقةٍ مختلفةٍ تمامًا عن أيَّةِ هُويَّةٍ أُخرى. فنِسيانُ الذَّات يُحرِّركَ من قاعة المحكمة ويُعلِقُ ملَفَّ قضيَّتك نهائيًّا. فالحُكْم يَصْدُر من الدَّاخل. وقد يكون هذا المفهومُ جديدًا بالنِّسبة إليك. لذا استمرَّ في البحث، وواظِبْ على التَّفتيش، ولا تتوقَّفْ عن طَرْح الأسئلة؛ فهناك الكثيرُ لتَكتشفَه. وقد تَطَرَّقتُ إلى العديد من الجوانب في هذه الصَّفحات القليلة. ولكنَّ هناك الكثيرَ من قِطَع الأُحجيَّة ينبغي وَضْعُها في أماكنها. فمثلًا، لماذا كان ينبغي ليَسوعَ أن يموت؟ ولماذا قامَ من الأموات؟ وهل كان ابنَ الله حقًّا؟ واظِبْ على البحث إلى أن تفهَمَ الصُّورةَ الكاملة.

ولكنَّ حالتَكَ قد تكونُ مختلفة. فربَّما أنت مؤمنٌ بيسوع المسيح. بل ربَّما تكونُ قد آمنتَ منذ سنوات. ولكنَّك تجدُ نفسَكَ يوميًّا واقفًا في قاعة المحكمة! وأنتَ لا تشعرُ بأنَّك تعيشُ تلك الحياةَ التي تَحدَّثَ بشأنها الرَّسول بولس. فأنت

coptic-books.blogspot.com

تَعلقُ في الفخِّ نفسِه كلَّ مرَّة. إنَّ كلَّ ما يمكنُني قَولُه لكَ هو أنَّه ينبغي لنا أن نَعيشَ الإنجيلَ ثانيةً في كلِّ مرَّة نُصلِّي فيها. ويجب علينا أن نعيشَ الإنجيلَ ثانيةً في كلِّ مَرَّة نذهبُ فيها إلى الكنيسة، وأن نعيشَ الإنجيلَ في هذه اللَّحظة ونسألَ أنفُسَنا عمَّا نفعَلُه في قاعةِ المحكمة. فيجب ألَّا نكونَ هناك. فقد أُبطِلَ الحُكْم.

في ضَوء ما سَبَق، يمكنُ لكلٍّ منَّا أن يقولَ مع بولس: "أنا لا أكترثُ برأيكم فيَّ. كما أنِّي لا أكترثُ أيضًا برأيي في نفسي". ويقولُ الكتابُ المقدَّس: "إذًا لا شَيءَ من الدَّينونة الآنَ على الَّذينَ هم في المسيح يَسوعَ" و"أنتَ ابني الحَبيبُ الذي به سُررتُ".[٦] لذا، لِيَكُنْ هذا هو شِعارَ حياتك!

٦) رومية ٨: ١؛ انظر أيضًا مرقس ١: ١١.

coptic-books.blogspot.com

أفكارٌ وأسئلةٌ للتأمُّل

- إذا كنتَ قد آمنتَ بيسوع المسيح منذ وقتٍ قصير، اقرأ إنجيل مرقس واطلُبْ إلى الله أن يُريَك حقيقةَ يسوع، ولا سيَّما في ما يَختصُّ بمَوتِه على الصَّليب. وإذا كنتَ تَعرفُ مسيحيِّين حقيقيِّين، يمكنُكَ أن تطلبَ إليهم أن يُخبروك بذلك.

- يمكنك الاستعانة بكلمات المزمور ١٣٩ في صلاتك. اطلُبْ إلى الله أن يُريَك قلبَك. اطلُبْ إليه أن يُريَكَ المواضعَ التي تبحثُ فيها عن تقدير الذَّات، والأساليبَ التي تسلُكُ فيها بحثًا عن إحساسِكَ بهُوِيَّتك.

"اختبِرْني يا الله واعرفْ قَلبي. امتَحنِّي واعرفْ أفكاري.

coptic-books.blogspot.com

وانظُر إنْ كان فيَّ طريقٌ باطلٌ، واهدِني طريقًا أبديًّا".

(مزمور ١٣٩: ٢٣ و٢٤)

- هل يمكنُكَ أن تَشرحَ لأحَدِ الأشخاص كيف يمكنُ للإنجيل (وكيف يجب على الإنجيل) أن يُغيِّر إحساسَنا بهُوِيَّتنا؟ إلى أيِّ مدًى تَشعرُ بحُدوثِ ذلك في حياتك؟

- كيف عَمِلَتْ كلمةُ الله على تشجيعك أو على وَضْعكَ أمامَ تحدِّياتٍ جديدة؟ صلِّ بهذا الخصوص.

- اطلُبْ إلى الله أن يُعطِيَكَ ما تحتاجُ إليه للتَّحلِّي بالتَّواضُع (بمفهومه السَّليم حسب الكتاب المقدَّس) وبحرِّيَّة نِسيان الذَّات.

coptic-books.blogspot.com

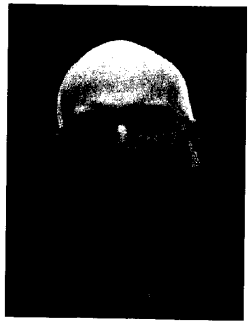

تيموثي كَلِر

هو راعي "كنيسة الفادي المشيَخيَّة" في مَنهاتن بنيويورك، والتي أسَّسها مع زوجته كاثي وأبنائه الثَّلاثة الصِّغار في عام ١٩٨٩م. يحضُر هذه الكنيسةَ اليومَ جمهورٌ منتظِمٌ يبلغُ نحو ستَّة آلاف شخص، في خمسِ خدمات كلَّ أسبوع، كما أنَّ لها عددًا من الكنائس المتفرِّعة منها، وتتولَّى زَرعَ الكنائس في المدن الكبرى بأنحاءٍ شتَّى من العالَم.

للمؤلِّف عدَّة كتبٍ منشورة، وقد تُرجمَ منها إلى العربيَّة من أوفير للطباعة والنشر، كتابي "**الإيمان في عصر التَّشكيك**" و"**مَثلُ الابنَين الضَّالَّين**".

للمزيد عن هذه الكتب، انظُرِ الصفحات التالية.

coptic-books.blogspot.com

حرِّيَّةُ نِسيان الذَّات

The Freedom of Self-Forgetfulness

”ما علاماتُ القلبِ الذي اختبرَ تغييرًا فائقًا للطَّبيعة؟“

هذا أحَدُ الأسئلة التي يَطرحُها الرسولُ بولس في أثناء كتابَتِه إلى الكنيسة في كورِنثوس. وهو لا يبتغي الحصولَ على إجابةٍ سطحيَّةٍ أو ضَحلة، بل إلى توجيه الأنظار إلى ذلك التَّغيير العميق الذي يُحدِث فرقًا في الحياة من الدَّاخل. ففي عَصْرٍ يَرى فيه النَّاس أنَّ إرضاءَ الآخرين، والأنا المُنتفخة، وبناءَ سيرة المرء الذاتيَّة هي الأساليبُ النَّاجعة للنَّجاح، فإنَّ الرَّسولَ بولس يدعونا إلى العثور على الرَّاحة الحقيقيَّة من خلال الحياة المُباركة القائمة على نِسيانِ الذَّات.

في هذا الكتاب، يُبيِّن لنا تيموثي كَلِر أنَّ التَّواضُع هو أن نتوقَّفَ عن رَبْط كلِّ خبرةٍ حياتيَّة أو مُحادثةٍ بذواتنا لكي نتحرَّرَ من إدانة أنفسنا. فالشَّخص المتواضع، وَفقًا لمفهوم الكتاب المقدَّس، هو شخصٌ لا يَكرَهُ نفسَه وليس مُغرمًا بنفسه، بل هو شخص غير مُنهمكٍ في نفسه.

ويمكنُك أنت أيضًا أن تَنعُم بهذه الحرِّيَّة...

ISBN 978-90-5950-208-6

9 789059 502086

www.

@ophi

ophirpu

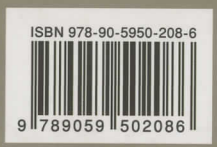

ophir

دار النشر الأسقفية